

## بسم الله الرحمن الرحيم

### المحاضرة الثالثة

## البيان العلمي للعقيدة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعدهك

أيها السادة والسيدات هذه هي المحاضرة الثالثة من محاضراتنا في تثبيت العقيدة الإسلامية عن طريق العلم وقد كنا في آخر حديثنا في المحاضرة الفاتية نتكلم عن ظاهرة الوحي وتحليلها ولقد عرفنا مما ذكرناه في آخر حديثنا أن الوحي لا يمكن أن يكون شعوراً داخلياً ظهر في كيان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قد يتصور بعض الباحثين الغربيين للأسباب التي ذكرناها والتي دلت عليها الوثيقة التي يؤمن بها سائر الباحثين في ظاهرة الوحي من مسلمين وغير مسلمين وآخر ما قلناه في حديثنا الفاتية أننا لو تصورنا أن الوحي شعور داخلي نابع من كيان محمد عليه الصلاة والسلام لاستلزم ذلك أن يكون أسلوب القرآن وأسلوب الحديث واحداً ولكن النظرة البديهية الأولى توضح نقيض ذلك فإن أسلوب الحديث النبوي مغموس في الطبيعة البشرية وما من حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو ينبض بالصفة الإنسانية التي يتصف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان معنى الحديث منقولاً عن الله سبحانه وتعالى أما القرآن فإنك لا تجد في آياته أي سورة من السور المعنى البشري والإنساني فهو مصطنع بجلال الربوبية دائماً وقلنا إن الإنسان لا يمكن إلا أن يكون كلامه مرآة نفسه وإذا شاء الإنسان أن يجتبر طبيعة إنسان ما فإن أصدق مرآة يتجلى من خلالها طبعه هو كلامه ونتابع الآن هذا البرهان على أن القرآن كلام الله عز وجل ومن ثم فإن الوحي ليس شعوراً داخلياً في كيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول ننظر أيها الإخوة إلى كل آيات الكتاب المبين فنراها تتسم بجلال الربوبية انظر إلى قول الله سبحانه وتعالى (نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ \* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) هل تجد في هذا الكلام أي صفة من صفات البشرية فإذا عرفت أن هذا الكلام مبرأ من الضعف الإنساني فهل تتصور أن إنساناً ما محمداً عليه الصلاة والسلام أو غيره يستطيع أن يجلس فيتخلص من بشريته وطبيعته الإنسانية ويجعل من نفسه إلهاً خالقاً

غير مخلوق رباً وسيداً للمكونات جميعها فيقول (نَبِيٌّ عِبَادِي أَيُّ أَنَا الْعُقُورُ الرَّحِيمُ \* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) أو هل تتصور أن هذا الإنسان يستطيع أن يتناسى إنسانيته وضعفه فيقول (وَمَنْ نُعَمِّرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ \* وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ) أو يقول مثلاً (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي \* إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) أو أن يقول الإنسان مثلاً متناسياً بشريته وضعفه يقول (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ \* يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ \* نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مِنَ يَخَافُ وَعَيْدٍ) كيف يمكن لمحمد عليه الصلاة والسلام أن يتخلى عن إنسانيته وبشريته ثم يقول هذا الكلام الذي لا يمكن أن يقوله إنسان خالق وليس كلام مخلوق بينما عندما يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده أي الحديث تجد كلامه كلام بشر ((إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من الآخر فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حقه شيئاً فإنما هي قطعة من نار فإن شاء فليأخذها وإن شاء فليدعها)) من الواضح أن هذا كلام إنسان فإذا عرفنا هذه الحقيقة أدركنا أن القرآن الذي بلّغنا إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبع من مشكاة أخرى غير نفسه والقرآن أبرز مظاهر الوحي إذن الوحي حقيقة خارجة عن كيان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه بواسطة جبريل يبلغ عن الله عز وجل.

ودعونا أيها الإخوة نأتي ببعض البراهين الأخرى التي تبين حقيقة الوحي وأنه ليس شعوراً داخلياً نابعاً من كيان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما نقرأ القرآن كثيراً ما نجد أسئلة سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاب عنها بطريقة ما ثم جاء القرآن ليخطئه فيها ويجيبه عن تلك الأسئلة بأجوبة أخرى كيف يكون القرآن كلام رسول الله والقرآن يصحح كلمات النبي عليه الصلاة والسلام عندما تضرب بعض الأمثلة عندما جاءت ليلة أوس بن الصامت رضي الله عنهما تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن زوجها قال لها أنت مني كظهر أمي قالت له ما معنى هذا الكلام وما الذي ينبغي أن أفعله وقد قال لي هذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراك إلا قد حرمت عليه أي الذي أتصوره وانظروا عندما يتكلم رسول الله من عند نفسه الذي أتصوره الذي أفهمه أن هذا طلاق ومعنى ذلك أنك قد حرمت عليه فأخذت تشكو إليه وتقول يا رسول الله إن لي منه صبية إن ضممتهم إلي جاعوا وإن تركتهم إليه ضاعوا ولكن الرسول ظل يقول لها ما أراك إلا قد حرمت عليه فقامت وقالت أشكو إلى الله أمري وما إن ذهبت حتى نزل قول الله عز وجل (فَدَّ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي

**تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا**) إلى أن قال **(وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا)** وهكذا فقد أنزل الله عز وجل بياناً يوضح أن هذا ظهار وأنه ليس طلاقاً ولهذا أخبر رسول الله المرأة أن تعود فقال لها إن هذا ليس طلاقاً وإن على زوجك أن يكفر إذا أراد عودة إليك وهكذا فقد صحح القرآن كلام رسول الله كيف يمكن أن نتصور أن القرآن إذن كلام محمد عليه الصلاة والسلام. وأضرب مثلاً آخر رجل من المسلمين اسمه طعيمة بن أبيرق سرق سولت له نفسه سرق غرارة طحين من بيت إنسان مسلم أيضاً وفي غرارة الطحين أي في كيس الطحين هذا بعض التحف والأموال ولكن طعيمة هذا خطط لسرقته حتى ينجح فيها أودع غرارة الطحين هذا الكيس الذي سرقه أودعه في بيت جارٍ للمسلم المسروق وكان يهودياً وقال له تكن هذه الغرارة وديعة عندك وبعد أيام سأعود وأخذها كانت خطة الرجل السارق أنه ينتظر بضعة أيام فإن نجحت السرقة وخفيت الحقيقة عاد فأخذ الغرارة آمناً مطمئناً وإن لم تنجح السرقة وكشف الأمر فسوف يتلبس بالسرقة اليهودي وفعلاً شكوا المسروق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر أخذ رسول الله يبحث ونظروا فوجدوا رشاش طحين موصولاً ما بين بيت المسروق وبيت اليهودي وهذا عندنا في هذا العصر يسمى عند القانونيين بالجرم المشهود فجيء باليهودي ويهوديته دليل آخر ليس مسلماً ووالاه رسول الله بالتهمة فقال أنا لم أسرق وإنما أودع الغرارة عندي فلان من الناس وجيء بطعيمة فغضب أمام رسول الله وقال يا رسول الله نحن بيت مسلم أنتهم بالسرقة نعم لينظر المسروق من عدوه ومن الذي سرق الرسول بشر تصور فوجد أن هذا الكلام معقول المسلم بعيد منه أن يسرق أما اليهودي فمعقول له أن يسرق ورشاش الطحين دليل آخر وتوجهت أصابع الاتهام وضاعت حول اليهودي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُنزل به العقاب وإذا بآيات بعشر آيات تنزل تبرئة لليهودي وعتاباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتجريماً لذلك المسلم أولها قول الله عز وجل **(يا أيها النبي إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله شاهداً عليهم)** إلى آخر الآيات وهكذا استدعى رسول الله اليهودي وبرأه واعتذر إليه واعترف طعيمة بما فعل كيف يمكن أن نتصور أن القرآن كلام رسول الله إذن وهكذا نعلم بالأدلة البديهية الواضحة أن القرآن بأسلوبه ومضمونه ومعانيه أكبر شاهد على أن الوحي ليس شعوراً داخلياً

نابعاً من كيان رسول الله وإنما هو الوحي حقيقة خارجة من كيانه استقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل متمثلاً في نبأ أو أحكام يبلغها الله عز وجل إياه عن طريق هذا الملك هذا هو الوحي وإذن فالنبي إنسان أوحى إليه أوحى الله عز وجل إليه نبأ أو شرع فإن أمره بالتبليغ أيضاً فهو رسول عرفنا إذن حقيقة الوحي وعرفنا كيف نصدق أن محمداً رسول بالمنهج العلمي واصطفانا أن نعتمد على طمأنينة علمية راسخة بأن محمداً عليه الصلاة والسلام لم يكن بالإنسان العبقري أي أن نبوته مظهر لعبقريته ولم يكن زعيماً ولم يكن هاوي مئلك ولم يكن مصلحاً اجتماعياً كما يصور المستشرقون ظلماً وبهتاناً نحن نلجأ إلى العلم ونطلب له أن يفصل لنا في هذه المسألة وقد فصل العلم في هذا فرسول الله عبقرى وذكى وأوتى صفات نادرة لكن هذه الصفات كلها فرع عن نبوته فرع عن كونه رسولاً من قبل رب العالمين سبحانه وتعالى هل أزيدكم أدلة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أظن أننا لسنا بحاجة ولكن إذا كان فينا من يطلب المزيد فما عليه إلا أن يرجع إلى دراسة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المصادر الموثوقة السليمة فسيجد ما يوضح له حقيقة شخصية محمد عليه الصلاة والسلام ولسوف يجد أن كل يوم من أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد صدق على أنه نبي من عند الله عز وجل وليس إنساناً مصلحاً اجتماعياً قط.

والآن عرفنا باليقين العلمي نبوة محمد عليه الصلاة والسلام إذن عرفنا أن القرآن كلام الله عز وجل والقرآن نفسه الذي عرفنا أنه ليس كلام بشر يوضح لنا هذه الحقيقة نعم الباري عز وجل يقول **(قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون)** ويقول **(وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون)** ويقول **(إن هو إلا وحي يوحى)** ويكرر الله عز وجل هذه الحقيقة فإذا عرفنا ذلك فإن العقل لا بد ولا مناص له من أن يقف أمام هذا القرآن ليصغي إليه ليصغي إلى كل كلمة فيه موقناً بأنه خطاب رب العالمين إلينا ولا بد أن يحمل هذا اليقين كل منا على أن يصغي بإجلال وبتعظيم وبيقين قاطع إلى هذا الكلام وهو يعلم أن كل ما فيه حق وصدق وكيف لا يكون كذلك وهو كلام خالق الكون كله فإذا أصغينا إلى القرآن ماذا نجد فيه والقرآن الالتجاء إلى القرآن ثمرة الإيمان بالنبوة نجد في القرآن نوعين من الخطاب أو الحوار النوع الأول أنباء وإخبارات الله عز وجل ينبئنا في هذا القرآن عن قصة الكون قصة الإنسان قصة رحلته في هذا الوجود ينبئنا عن تمة الرحلة التي نحن مقبلون إليها أحداث ما بعد الموت قيام الساعة أحداث يوم القيامة مصير الإنسان ينبئنا الله عز وجل عن كثير من الصور الكونية ويلفت النظر إلى خلفياتها هذا هو القسم الأول من حديث

القرآن أنباء وإخبارات النوع الثاني من حديث القرآن لنا تعليمات وأحكام ووصايا هكذا فليتعامل الإنسان مع أخيه الإنسان هكذا تعاملوا مع الكون هكذا سخروا لأنفسكم الحياة هكذا أقيموا موازين العدل إنكم خلقتم وقد سلط عليكم عدوان شيطان خارجي ونفس داخلية. فإياكم أن يغركم الشيطان وإياكم أن تذهبوا كل مذهب في إرضاء أنفسكم والإنصياح لشهواتكم وقد وضعت أمامكم ميزاناً تستطيعون به أن تكونوا على خير حال ترضون به طبيعتكم الإنسانية وتمتعون به غرائزكم دون أن تنحرفوا إلى أي مهلكة أو توقعوا أنفسكم في أي شقاء وهكذا إذن القرآن عندما يخاطبنا خطاباً إما تعليمات وأنباء عن الكون وما حولنا وعن قصة هذه الحياة وإما تعليمات وأوامر ونواهي هذه التعليمات وقد عرفنا أنها صادرة من ربنا من خالقنا من الرحيم بنا يقيناً أن هذه التعليمات ما خاطبنا الله بها لتشقينا ولكي تكون قيوداً وآصاراً في حياتنا وإنما خاطبنا الله عز وجل بها لكي تكون مصباحاً في طريقنا في نجاح الحياة لكي نستطيع من خلال هذه التعاليم أن نمتع أنفسنا بنعيم الدنيا وأن لا نوقع أنفسنا في الوقت ذاته في مطباتها وفي مهلكاتها وهنا قد يقول القائل ولماذا خلق الله الإنسان ولماذا أقامه فوق هذه الكرة الأرضية هذا سؤال على الهامش أيها الإخوة والأخوات لا أريد أن أقف عنده طويلاً ولكن لا بد من إجابة مختصرة عن هذا السؤال أولاً: هذا السؤال إذا تأملنا جيداً نجد غير وارد من مخلوق لخالق ومن عبد لإله ولكن الإنسان من كثرة ما اعتاد أن يسأل أمثاله من البشر لماذا فعلت كذا ولماذا صنعت كذا لماذا تحفر الأرض لماذا تزرع لماذا تبني لأن كل الإنسان عندما يفعل شيئاً يهدف بفعله إلى غاية لأن الإنسان ضعيف لا يستطيع أن يحقق غايته رأساً وإنما بوسائل وبناء على ما تعودده الإنسان يطرح هذا السؤال أيضاً في حق الله عز وجل فيقول لماذا خلق السموات لماذا خلق الإنسان بكل بساطة وبكل وضوح نقول هذا السؤال لا يرد من المخلوق للخالق الله عز وجل لا يندفع إلى أعماله بدوافع كالتدفعنا نحن أي لا يندفع إلى أعماله بقصود يريد أن يبلغها عن طريق وسائل فإن الله لا يعجزه شيء أن يحقق ما يريد بدون أي وسيلة وجوابنا من ثم على هذا السؤال قول الله عز وجل **(لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)** لقد شاءت حكمة الله أن يخلق الإنسان فوق هذه الكرة الأرضية وأن يعرفه على ذاته وأن يعرفه قصة الكون الذي من حوله وأن يجعله خليفة فوق هذه الأرض يقوم عن الله عز وجل في رقابة ميزان العدل بين الناس لكن بسلوكه الاختياري لا بالغريزة كالحوانات المختلفة هكذا شاء الله عز وجل ولا راد لمشيئته ولا معقب لقضائه نتجاوز إذاً هذا الموضوع ونقف من ثم أمام المسألة التي يتطرحها كثير من الناس وهنا تأتي مناسبتها عندما قلنا



أن القرآن في شطره الثاني عبارة عن تعليمات وأوامر ونواهي ومن ثم يحذرنا القرآن أننا إذا لم ننفذ هذه الأوامر وإذا ارتكبنا هذه النواهي فقد يسبب ذلك لنا شقاء وبيلاً وإذا انصعنا لأوامر الله عز وجل فلا شك أن هذا الإنصاع يكون سبباً لسعادة الإنسان في دنياه وآخرته هنا قد يقول أحدنا والقضاء والقدر ماذا نصنع به وماذا يملك أن يفعل الإنسان في نطاق التعليمات التي وجهت إليه والنواهي التي حُذر منها ما دام محكوماً بسلطان القضاء والقدر.

أيها الإخوة والأخوات هنا نفتح ملف مسألة القضاء والقدر ونطيل الكلام بشأنهما لكي نعلم أن هذه المسألة ليست مشكلة وأنا لا أقول مشكلة القضاء والقدر كما تلاحظون وإنما أقول مسألة إلا أن محترفي الغزو الفكري أرادوا أن يجعلوا منها مشكلة وتاجروا بها من أجل أن يصلوا إلى ما يبتغون وطالما عكروا الرؤية بين كثير من العقول والإسلام بواسطة موضوع القضاء والقدر ولكنهم ما استطاعوا أن ينجحوا وأن يخدموا إلا البسطاء السذج من المسلمين أما أولئك الذين حصنوا أنفسهم في حصن الثقافة الإسلامية الراشدة فما أبعد أن يستطيع شياطين الإنس أو الجن تلاعباً بعقولهم ما معنى القضاء والقضاء علم الله عز وجل بكل ما يجري مع الإنسان وبكل ما يتصرفه سواء من أموره التي هو مخير فيها أو أموره التي هو مسير فيها علم الله عز وجل بما سأفعله وبما يجري علي من أحداث ماضية وآتية هذا العلم المسجل في كتاب الذي لا يطلع عليه إلا الله هو الذي يسمى القضاء وأما القدر فهو وقوع معلومات الله عز وجل تماماً على النحو الذي علمه فإذا علم الله عز وجل أنني سأموت في تاريخ كذا ويوم كذا وفي ساعة كذا فهذا هو القضاء فإذا مت فعلاً في ذلك التاريخ فذلك هو القدر وهذا من الأمور التي لا اختيار لي فيها مثال آخر من الأمور التي أنا مخير فيها علم الله عز وجل أنني سألقي هذه المحاضرات في هذه الأيام بعدد معين وبشكل معين علم ذلك وسجله في غيبه هذا هو القضاء ثم إذا وقعت هذه المحاضرات فعلاً وأجزتها كما علم الله عز وجل فهذا هو القدر أعود فأقول إذن القضاء علم الله عز وجل بكل ما يقع في الكون وبكل ما يجري على الإنسان من الأحداث التي لا اختيار له فيها أو الأحداث التي هو مخير فيها والآن إذا علمنا أن هذا هو القضاء فهل هنالك أية علاقة بين القضاء وبين الجبر وهل يحق للإنسان أن يقول قضى الله علي أن أفعل كذا إذن أنا لست صاحب رأي ولست قادراً على أن أختار لنفسني شيئاً لا لا يمكن للإنسان أن يعتذر بالقضاء وقد عرفنا معناه لا يمكن للإنسان أن يعتذر بالقضاء فيقول شيئاً من هذا القبيل ولنزد الكلام إيضاحاً القضاء علم الله يقول العلماء العلم صفة كاشفة وليست صفة مؤثرة أي

أن العلم أشبه بالمصباح الكهربائي في مقدمة السيارة فأنت عندما تضيء مصباحك الكهربائي في مقدمة السيارة هذا المصباح يريك الطريق على ما هو عليه يريك الطريق المستقيم مستقيماً والمعوج معوجاً والمعبد معبداً والطريق المملوء بالحفر والتضاريس كما هو المصباح أو الضوء يريك الشيء على واقعه العلم صفة كهذه الصفة صفة كاشفة وليست صفة مؤثرة أو ملزمة الله عز وجل خلق الإنسان وأورثه العقل وامتعه بالاختيار وأقدره على اتخاذ القرار ثم إن الله بوصف كونه إلهاً لا بد أن يعلم ماذا سأختار بمحض إرادتي وماذا سأصنع ومتى أرتكب محرماً ومتى أطيع الله سبحانه وتعالى عز وجل يعلم هذا مني بطبيعة الحال فإذا علم الله سبحانه وتعالى أنني باختياري وإرادتي سأفعل كيت وكيت فمتى يحق لي أن أقول إذن أصبحت مضطراً إذا علم الله ماذا سأختار أصبحت بذلك مضطراً هذا هو تناقض أو سوء معرفة من الإنسان عندما يصور الأمر على هذا النحو وتعالوا نأتي بمثال يتعلق بحياة الناس بعضهم مع بعض.

لنوضح هذا المعنى الذي أقول مدرس في جامعة أو مدرسة إذا كان الأستاذ عبقرياً خبيراً ذكياً تأمل في تلميذه وتوقع منه الرجوع توقع منه الإهمال والكسل وسجل هذا الأستاذ في مذكرته أن هذا التلميذ عندي كسول ولسوف يرسل ولن ينجح وفعلاً هذا التلميذ رسب أخيراً لأنه فعلاً كما تنبأ أستاذه وكما تفرّس فيه كان كسولاً هل لهذا التلميذ أن يقول لأستاذه ما دمت أنك قد عرفت أنني كسول وأنني لن أنجح فأنت إذن الذي سببت لي الكسل والرسوب ولا ينبغي أن تحاسبني على شيء لست مختاراً فيه هل لهذا التلميذ أن يقول هذا الكلام أبداً لو أن هذا التلميذ قال هذا الكلام لأستاذه لعاقبه أستاذه عقاباً آخر ولو أنا بمحض معرفتي وقدرتي وفراستي عرفت أنك ستختار الكسل ولسوف تختار الإهمال ومن ثم فلسوف ترسل بسبب تقصيرك لا بسبب دفعي إليك إلى التقصير إذا كان هذا الأمر معروف في ما بين الناس بعضهم مع بعض فهذه المسألة هي ذاتها فيما يتعلق بعلم الله الله خلقتني وأودعني في هذا الكون وأعطاني القدرة وأعطاني الاختيار وأعطاني القدرة على اتخاذ القرار ثم نظر إلي فعلم ماذا سأختار سجل هذا في علمه هذا هو القضاء أما القدر ففوق ذلك مطابقاً لعلم الله سبحانه وتعالى طبعاً هنالك أشياء مما يدخل في قضاء الله عز وجل لا اختيار فيها مثل علم الله عز وجل بأنني سأمرض يوم كذا وأنني سأقع وأصاب بشيء وأنني سأموت يوم كذا وأنني سأنام في ساعة كذا وأستيقظ ساعة كذا هذه الأشياء كلها تدخل في علم الله عز وجل ولكنها ليست مما يدخل في نطاق اختياراتنا ومن ثم فإن الله لا يحاسبنا عليها لأنه لا يحاسب الإنسان إلا ضمن دائرة

قدراته والأمور التي هو مخير فيها هذا معنى القضاء والقدر ولكن مع ذلك يبقى هنالك أو تبقى سلسلة من التساؤلات فلنأتي على هذه التساؤلات كلها واحدة إثر أخرى قد يقول قائل هذا حسن ولكن الفعل الذي يصدر من عندنا من خلقه أو عندنا من يشرب الخمر فمن يشربها هذا الفعل من الذي خلقه أليس الله خالق كل شيء نقول بلى طيب إذا كان الله خالق كل شيء إذن فصلاحي هو الذي خلقها وشربي الخمر والعياذ بالله هو الذي خلقه وسيري إلى المسجد أو إلى الموبقات هو الذي خلقه فقد عادت المشكلة كيف يحاسبنا الله عز وجل على أمور هو خالقها الجواب ولنتأمل أيها الإخوة الله هو خالق كل شيء فعلاً وأفعالنا هو خالقها لكن ما معنى أن أفعالنا هو خالقها عندما أكتب الآن الذي أقدرني على حمل القلم هو الله والذي أقدرني على تحريك يدي هو الله والذي بث الدماء في عروقي فأحيا يدي بهذه القدرة هو الله ومن ثم أقول خلق الكتابة فعل الكتابة بخلق الله سبحانه وتعالى كذلك الذي أقدرني على الوقوف منتصباً عند صلاتي هو الله والذي يقدرني على التحركات في الصلاة هو الله عز وجل إذن الله هو خالق فعلي ولكن مهما قلنا إن الله هو خالق فعل الإنسان فإن هذا لا يساوي ولادة الفعل لا يساوي ظهور الفعل من العدم إلى الوجود لا بد أن يوجد دافع إلى هذا الفعل الذي يخلقه الله ما هو هذا الدافع الرغبة رغبتني في أن أصلي رغبتني في أن أكتب قراري الذي أتخذه أنني الآن سأنهض لأذهب إلى المسجد فأصلي هذا القرار الداخلي هذا العزم مني أنا بهمة من الله عز وجل أودع في كياني سراً اسمه سر الإنبعاث الإرادة العزم هذا الشيء أنا أتمتع به فالله عز وجل عندما يراني الله مطلع على القلوب مطلع على السرائر عندما يراني قد عزمت على أن أقوم فأصلي وتكامل العزم في كياني فإن الله سبحانه وتعالى يقذف في كياني القوة ويقدرني على النهوض ويحرك أعصابي ويجري الدماء في عروقي لكي يخلق الفعل المناسب للعزم الذي عزمته والمثبية يوم القيامة ليست على الفعل المادي الذي هو بخلق الله لكن المثبية على العزم الذي صدر مني العزم الرغبة الرغبة في الصلاة هذه الرغبة هي مناط المثبية بالطاعات وهي مناط العقوبة في السيئات أمل أن ننتبه إلى هذا أيها السادة فالباري سبحانه وتعالى يراني ويرى ضميري ويرى حركات قلبي يرى أنني أفكر في معصية من المعاصي هل أفعل أم لا أفعل هذا شيء من الإنسان ثم أنني أفكر أفرض عزمت على فعلها عزمت على فعلها رأى الله مني العزم واستجمعت حوافزي لتطبيق هذه المعصية هنا يأتي دور خلق الفعل يخلق الله في كياني القدرة ويحركني ويطلق في كياني الحركة أي معنى ما قد عزمت عليه فأقترف المعصية بخلق الله لها في كياني ولكن الذي هو مناط المعاقبة التي تنتظرني في العزم الذي صدر



مني أي أن الله يجعل أفعال الناس تجسيدا لعزائمهم يجعل أفعال الناس التي يخلقها تجسيدا لجهودهم حتى لا تبقى خفية وانظروا إلى كتاب الله عز وجل يجعل المثوبة منوطة بما يسميه الكسب لا الفعل **(بما كنتم تكسبون) (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) (كل نفس بما كسبت رهينة)** ودعونا من الحديث عن القرآن في هذا الصدد القوانين الوضعية تمضي على هذا المنوال أيضاً فإن القانون عندنا يجرم الإنسان لا يجرمه بناء على الفعل المادي الحركي وإنما يجرمه بناء على قصده ونضرب مثلاً لو أن إنساناً دخل إلى غرفة مريض ليعوده بحسب الظاهر وقد أراد به شراً فيتابع فرصة غفوة من المريض واستل قارورة الدواء ووضع في مكانها قارورة سم ثم خرج ولما حان أخذ المريض الدواء أخذ القارورة بيده وشرب منها بيده فمات لو نظرنا إلى الفعل المادي لرأينا أن المريض هو الذي أमत نفسه أي هو الذي انتحر ومع ذلك فإن القانون يجرم ذلك الشخص الآخر وإن كان ذلك الشخص لم يقم بعمل مادي مميت ذلك لأن تصرفه كشف عن قصده والقصد هو مناط العقوبة وهو مناط الثواب وهكذا فالله هو خالق الأفعال جميعاً ولكن الله عز وجل ينظر إلى ما استكنّ في القلوب فإذا كانت النية طاعة الله جسّد هذه النية بخلق الفعل وإذا كانت النية المعصية جسّد الله هذه النية في فعل المعصية ليكون ذلك شاهداً يوم القيامة على قصده هذا هذه هي المشكلة الأولى قد تخطر في البال أجبنا عنها. لكن هنا قد يسأل أحدكم السؤال التالي هذه الإرادة أو هذه الحرية التي أمتع بها من الذي وضعها في كياني أليس الله أقول بلى يقول أحدنا فإذا كان الله هو الذي جعلني مختاراً إذن الكل من الله إذن فليس هنالك أي شيء لي ما دام أن الله هو الذي متعني بالاختيار هذا ما يقوله بعض الناس ولكن هذا الكلام أيها الإخوة والأخوات فيه مغالطة واضحة جداً لو أن أحدكم تنبه جيداً لكشف عن هذه المغالطة وسخفها الله عز وجل متعني باختيار هذا محل اتفاق إذن أنت متمتع بالاختيار هذا كلام جميل إذن هنالك فرق بينك وبين من لم يمتع الله عز وجل بهذا الاختيار هنالك إنسان مسلوب الاختيار لا يملك أن يتخذ قراراً وهنالك مثلك يتمتع بالاختيار أنت تقول متعني الله بالاختيار وصاحبك الذي إلى جنبك لم يمتع الله بالاختيار بينكما فرق أم لا بينكما فرق واضح هذا الفرق كيف يتجسد وكيف يتبين أن الله عز وجل جعل صاحبك مسير لا يستطيع أن يتحرك بحرية فيما يصنع وفيما يفعل ويأتي ويذر بينما أنت أورتك الله القدرة على أن تقرر أريد كذا ولا أريد كذا أما قولنا إن الله هو الذي متعنا هذا جميل فعلاً هو الذي متعنا وهذا يدعونا إلى مزيد من شكر الله سبحانه وتعالى ما معنى متعنا هل معنى متعنا بالاختيار أي سلبنا الاختيار إذن هذا تناقض متعنا

بالاختيار أي جعل كل واحد منا قادراً على أن يتخذ قراره بنفسه صحيح هو لا يملك فعله لكنه وهو صامت جالس يقول لقد عزمت على كذا وكذا هذه هبة من الله عز وجل وما دامت هبة من الله سبحانه وتعالى إذن ينبغي أن أتحمّل ضربيتها فكيف يمكن أن يقول قائل ما دامت هذه الإرادة التي أتمتع بها من الله إذن أنا لا أملك شيئاً هذا كمن يقول ما دام أن الذي أعطاني هذا المال هو الله إذن أنا لا أملك مالاً هذا تناقض أنت تقول الله ملكني المال ثم تعود فتقول إذن أنا لا أملك المال إذن ما الفرق بينك وقد ملكك الله المال وبين صاحبك الذي لم يملكه الله عز وجل هذا المال فرق كبير إشكال آخر قد يسأله البعض منا يقول إذن هنالك آيات في كتاب الله عز وجل فكيف نفهمها الباري عز وجل يقول **(وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً)** هذا الكلام سلب للمشية **(وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)** أيضاً أيها السادة هنا من يحاول أن يلبس ويغالط أو هنالك جهال وصلوا إلى درك خطير من الجهل فلم يعو الكلام العربي السليم هذه حجة تثبت أن للإنسان مشيئة وليست حجة تسلب الإنسان مشيئته يقول الله عز وجل **(وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)** معنى هذا الكلام أي ما كنتم لتتمتعوا بهذه المشيئة لو لم أشأ أن أمتعكم بها ولكني قد شئت أن أمتعكم بهذه المشيئة فما أنتم اليوم تتمتعون بها إذن الآية في رصيدها الأخير تثبت للإنسان المشيئة أم تسلب عنه المشيئة وما تشاؤون أي لم تكن لكم مشيئة وكان ممكن أن تكونوا كريحة في الهواء لو لم أشأ أن أجعلكم ممتعين بهذه المشيئة والنتيجة أن الله شاء أن نكون ممتعين بها وهذا تمنن من الله علينا يمتن الله علينا بأن أورثنا هذه الخصوصية المزية التي لا يتمتع بها كثير من الخلائق فكيف يفهم أحدنا من هذا الكلام أن الإنسان لا يتمتع بمشيئة ضمن منظار واضح أيضاً قد يقول أحدنا الآيات الأخرى كقوله عز وجل **(ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء)** وقول الله سبحانه وتعالى **(إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)** هذا الكلام وأمثاله في القرآن كثير يدل على أن الهداية بيد الله سبحانه وتعالى فهو يختار للهداية من يشاء ويُرْجُحُ فيها ويختار للضلال من يشاء ويزججه فيها الجواب فعلاً نحن نعلم أن الله سبحانه وتعالى لو شاء لهدى الناس جميعاً نعلم هذا والله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء لكن هل سمعت آية في كتاب الله عز وجل يوضح فيها الله عز وجل أن الله يهدي الناس بشكل عشوائي ويضلهم بشكل عشوائي إن رأيت في القرآن كلاماً من هذا القبيل فتلك هي المشكلة إن الله عز وجل بيّن لنا نقيض ما قد تتصور صحيح أن الله أعلم أنه يهدي من يشاء هدايته ويضل من يشاء إضلاله لكنه فصل القول في آيات كثيرة في كتابه فأوضح لنا أن كل

إنسان تخلى عن كبريائه ووضع عقله ميزاناً بين يديه وقرر أن يتبع الحق الذي يهديه إليه عقله إن كان إيماناً أو إحاداً دون أية موارد ولا عصبية ولا استكبار فإن الله سيهديه هكذا قرر الله عز وجل في قرآنه وقرر أن كل إنسان سلفاً يضع نصب عينيه عصبية أهواءه ويحجب نفسه عن الحق بكبريائه سلفاً بحيث يأتي المناقشون والمحاورون فيصدهم ويردهم دون أن يلتفت إلى عقله فإن الله قرر في قرآنه أن يضلّه وانظروا إلى قول الله عز وجل عن الفئة الأولى (وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) وانظروا إلى قوله (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور) إذن الباري آل على نفسه أن يهدي كل من تعرض لأسباب الهداية وانظروا إلى قوله عز وجل في حق الفريق الثاني (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) يطبع الله على قلبه أي يجعله لا يعي هذا فعلاً إضلالاً ويقول الله سبحانه وتعالى (ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يدها إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذن أبداً) وأكد هذا في آية أخرى إذ قال (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغيب يتخذوه سبيلاً ذلك لأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) هذا هو الميزان هنالك قانون أوضحه الله عز وجل قال أنا أهدي من أشاء وأضل من أشاء ثم إنه عاد فشرح وبين أن الإنسان الذي تخلى عن كبريائه وقرر أن يسير وراء عقله يهديه الله لا بد أن يهديه والإنسان الذي قرر أن يسير وراء رعوناته ووراء بغيه وكبريائه وعصبية وأنه لن ينصاع للحق فإن الله عز وجل يسلمه إلى ما قرر ويضله فهل هنالك من إشكال أنا أضع أمامكم بعض الصور والنماذج التي تجسد هذا المعنى أيها السادة هنالك كثير من المشركين الذين كانوا في العصر الجاهلي إبان بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء المشركون منهم من هدى الله ومنهم من حقت عليهم الضلالة كما يقول الله عز وجل فهل كان اختيار الله لمن هدى الله ولمن حقت عليه الضلالة عشوائياً لا الذين هداهم الله هم الذين فكروا وتأملوا وحرروا أنفسهم من رقة كبريائهم إيمانهم هؤلاء هداهم الله ولو بعد حين والذين حقت عليهم الضلالة هم أولئك الذين استكبروا وعاندوا يعرفون الحق ولكن عنادهم يمنعهم من الخضوع له أمثال أبي جهل أبي لهب الوليد بن المغيرة أبي بن خلف هؤلاء ذهبوا ضحية عنادهم أيها الإخوة ولذلك عندما يوضح الله حيثيات عقابه يوم القيامة في المحكمة الكبرى يوم القيامة ماذا يقول عنهم (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) لم يقل يجهلون لم يقل لا يعرفون لو كان كذلك

الباري عز وجل كان صفح يستكبرون إذن ذهبوا ضحية استكبارهم وهؤلاء هم الذين لا يهديهم الله ويضلهم هذه هي المشكلة الأخرى هل بقيت مشكلة أخرى فيما يتعلق بفهم القضاء والقدر بقيت نعم مشكلة أخيرة قد يقف بعض منا أمام قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر حديث صحيح ((فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها والذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)) قد يقول بعض منكم هذا الكلام أفسد كل ما ذكرت إذا كان الإنسان يتعب ويتعب ويكد في سبيل دخول الجنة ثم إن إرادة الله تطرده وتقذفه إلى النار والعكس أيضاً فما المصير الجواب أوضحه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا الكلام عدة مرات وفي إحدى المرات في رواية أخرى أيضاً صحيحة ماذا قال ((فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو فيما يبدو حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه أهل الكتاب)) إلى آخره ((وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو)) إلى آخر الحديث انظروا إلى كلمة فيما يبدو هذه هي التي تشرح الحديث وتبدد المشكلة أي إنك ترى أشخاصاً يصلون كثيراً ويعبدون الله كثيراً ولا تفصل المسبحة من أيديهم ودائماً يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر ويلقون كما ألقى الآن درساً في التوحيد والعقيدة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل ما نتصور أن هذا سيدخله الجنة رأساً لأنه يعمل بعمل أهل الجنة لكن أنا لم أطلع على قصده وعلى عزائمه هذا الذي يطلع عليه هو الله عز وجل فالباري سبحانه وتعالى يرى قلبه يرى أنه مرء يرى أنه معجب بنفسه يعلم أنه يفعل هذا من أجل أن تحواه الناس فيهيمن عليهم ويبنى عرشاً من الزعامة فوقهم وهكذا فإن الله عز وجل يدعه يعمل بعمل أهل الجنة وتفاجأ بعد قليل وإذا بهذا الرجل في آخر حياته أفسد عمله هو لم يفسده الآن أفسده من قبل ومع ذلك فعل الوقت قد أدركنا أيها الإخوة سأعود إلى هذا الحديث وأعود إلى شرحه في محاضرة قادمة بإذن الله سبحانه وتعالى والحمد لله رب العالمين ونسأل الله جميعاً لنا القبول.